نحب البيئة و نحافظ عليها

٣

كيف نحافظ على الأشجار

الدكتور
محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

في طَرِيقِ المَعْرفةِ والعِلْمِ..

سألَ الطَّالبُ (أَيْهمُ) مُدرِّسَ مادةِ التَّربيةِ الدِّينيةِ عن بَعْضِ المَسائِلِ المُتعلِّقةِ بالنَّباتاتِ والأشْجارِ.

فقال: هذا الأمرُ من اخْتِصاصِ مُدرِّسِ العُلُومِ الطَّبِيْعيَّةِ ، لكنْ حَسْبَ اخْتِصاصي أَسْتَطِيعُ القولَ: إنَّ القرآنَ الكريمَ ذَكَر النَّباتَ والأَشْجارَ في عِدَّةِ مَواضِعَ ، ففي مَعْرِضِ الحَديثِ عن أَكْلِ النَّبات ، قال اللهُ تعالى:

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وفي مَعْرِضِ الحَدِيثِ عن تَسَلْسُلِ النَّباتِ وإخْراجِه ، قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

وفي الحَدِيثِ عن بَعْضِ أَنْواعِ النَّباتاتِ ، قال تعالى في قِصةِ نَبِيِّه مُوسى مع اليهودِ:

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [البقرة: ٦١].

وقال سُبْحانه:

﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٢٧ ـ ٣١].

أَجَلْ! فالأَشْجارُ من خَلْقِ اللهِ تعالى:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾

[النمل: ٦٠].

وذلكم العالَمُ الواسِعُ عالمُ النَّباتِ يَخْضَعُ لِسُنَنِ اللهِ سُبْحانه ، فهو يَسْجُدُ مع السَّاجِدينَ ، لكنَّ المُشْكلةَ أنَّنا كبشرٍ لا نَعِي كيفيَّةَ ذلك ، مِصْداقُ ذلك قولُه تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴾ [الحج: ١٨].

وهكذا عادَ الأُستاذُ إلى مَوْضُوعِ الدَّرسِ ،

وكان عن جانبٍ من جَوانبِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ ، وخاصَّةً عن الرَّحْمةِ الغامِرةِ الشَّاملةِ التي حَمَلها الرسولُ ﷺ إلى البشرِ والنَّباتِ والحَيوانِ.. بل وإلى كلِّ شيء ، مِصْداقُ ذلك قولُه تعالى وهو يَصِفُ الحبيبَ مُحمداً ﷺ:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعِندَما انتهى دَرْسُ الدِّيانةِ ، خَرَجَ التَّلاميذُ إلى باحةِ المدرسةِ ، وكان الدَّرسُ التَّالي هو دَرْسَ التَّربية البيئيَّةِ ، ودارَ النِّقاشُ التالي:

من عَجائِبِ عالمِ النَّباتِ!!

بدأتِ الآنسةُ (أحلام) الدَّرسَ بِقَوْلِها:

في عالَمِ النَّباتِ هناك أمورٌ أَشْبَهُ بالخَيالِ ، ولولا أنها عِلْميَّةٌ لأصبحَ لدينا شُكُوكٌ في ذلك!

لذلك فلا بُدَّ أنْ أُحَدِّثَكُم عن بَعْضِ عَجَائبِ وغَرائبِ النَّباتِ...

في المنطقةِ الاسْتِوائيّةِ يُوجَدُ نَوْعٌ من الأَشْجارِ يُدْعَى أَشْجار الكَرْمةِ ، وهي شَجَرةٌ مُتسلِّقةٌ ، يبلغ طولُها (٢٠٠) مترٍ تقريباً!!

وفي حَدِيقةِ أَشْجارِ الصَّنوبرِ الوطنيةِ ، في ولاية كاليفورنيا ، يوجدُ نوعٌ من أَشْجارِ الصَّنوبرِ الأَحْمرِ ، ووُجِد واحدةٌ منها: ارتفاعُها (١١١) متراً ، ويبلغ عمرها (٣٠٠٠) سنة ، لذلك فقد فَتَحُوا نَفَقاً لعبورِ السَّيارتِ في قاعِدةِ جِذْعِها...

وفي الصِّين عُثِرَ في إحْدى الغَاباتِ على أكبرِ فِطْرٍ ، فكان ارتفاعُه (٥٠) سنتيمتراً ، وَبلَغَ قُطْرُ سَطْحِه من الأعلى (١٤) سم!!

وفي غاباتِ (سومطرة) ، في إندونيسيا وُجِدتْ أكبرُ زَهْرةٍ في العالمِ ، فكان قُطْرُها (١) متر ، ومع أنَّ مرآها جميلٌ ، فإن رائِحَتَها لا تُطاقُ!!

هناك أَشْجارٌ مُهَيَّأةٌ لارْتِكاب الأذى ، وحتى الموتِ ، فَبَعْضُها مثلاً له أوراقٌ تشبهُ أوراقَ شَجَرةِ المَوْزِ الكَبيرةِ ، وإذا ما مَسَّها أحدٌ فإنها تَضُمُّه بسرعةٍ خاطِفةٍ ، ثم تُفْرز عليه مادةً سامَّةً ، لتحلِّله وتُذِيبَه ، ثم تَمْتَصَّه ، ثم تَطْرَحُ عِظامَهُ خارِجاً!!

ثمَّ أشارتِ الآنسةُ (أحلام) إلى التَّلاميذِ قائلةً: ومَنْ كان عنده تعليقٌ حولَ قَضِيَّةِ المُحَافظةِ على الثَّروةِ النَّباتيةِ فَلْيَتَفَضَّلْ.

فوقفَ (أحمد) ثم قال: إنَّ اللهَ سُبْحانَه

وتعالى عندما خَلَقَ الشَّجرةَ جَعَلَها ذاتَ فَوائِدَ كَثيرةٍ ، وخاصَّةً لنا نحنُ البَشَر ، ولعلَّ مِنْ أهمِّ فَوَائِدها: أنَّها تَقُومُ بتنقيةِ الهَواءِ مِنَ الغُبارِ والدُّخانِ.

فقالَ (أمجد): أحسنتَ يا صَدِيقي ، ومِنْ فَوائدِ الشَّجرةِ أيضاً: أنَّها تَقُومُ بِتَصْفيةِ الهَواءِ ، ولأنَّها تأخُذُ غاز ثاني أوكسيد الكَرْبُون (co2) ، والذي يُطْرَحُ عن طَرِيقِ التَّنفُّسِ والاحْتِراقِ ، وتُعْطِينا الأوكسجين (o2) والذي نَحْتَاجُه للتَّنفُّسِ.

وقال (أيهمُ): ومِنْ فَوائدِ الشَّجرةِ أيضاً أنَّ الإنسانِ عندما يُصابُ بِضِيقٍ ناتجٍ عن الضَّوْضاءِ ، وما إلى هنالك فعليه أن يَلْجَأَ إلى ظِلالِ الأَشْجارِ ، وضِفافِ الأَنْهار ، وجِوار البُحَيْراتِ ، أي: أنْ يَلْجَأَ إلى أَحْضانِ الطَّبِيعةِ ،

فَيَرْتَمي فيها تارِكاً وَراءَهُ هُمُومَ الحَياةِ.

وحَقّاً إنَّ الإنْسانَ ليجدُ الرَّاحةَ والطُّمأنِينةَ والهُدوءَ ، فَبِمُجَرَّد أن يكونَ في أَحْضانِ الطَّبيعةِ ، تراهُ يسيرُ بخطواتٍ واثِقةٍ ، وتراه قد جَدَّد نَشَاطَهُ ، وعادَ إلى طَبِيْعتِه. وأضافَ (إحسان): ومِنْ فَوائِد الشَّجرةِ أَيْضاً أنَّه عِندَما تَسْقُطُ الأَمْطارُ ، فإنَّ الأَشْجارَ تمتصُّ هذه المياهَ في الأَرْضِ ، وهذا يساعدُ على تَخْزينِ تلك المياهِ ، وعلى مَنْعِ حُدُوثِ فَيَضاناتٍ.

وخَتَمتِ الآنسَةُ (أَحْلام) الدَّرسَ بِقَوْلها: وكذلك فالأَشْجارُ تُعْتَبرُ بحقٍّ أَعشْاشاً جَمِيلةً للطُّيورِ والحَيَواناتِ ، ومَصْدَرَ غِذاءٍ لها ، وهي جُزْءٌ من البيئةِ التي نَعيشُ فيها.

إضافةً إلى الفَوائدِ الكَثيرةِ ، كالزِّينةِ والمَنْظَر الجَمِيلِ.

هَيَّا معاً.. فَلْنُحافِظْ على الأَشْجارِ..

ثُمَّ اتَّجهَ الحِوارُ بين الطُّلابِ والمُدرِّسةِ إلى كيفيَّةِ المُحافظةِ على الأَشْجارِ ، فقالتِ الآنِسةُ (أَحْلام):

وما دُمْنا عَرَفْنا بعضَ فَوائدِ الأَشْجارِ ، ومدى أَهَميَّتها بالنِّسبةِ لنا ، وللطَّبيعةِ بشكلٍ عامٍّ ، فلماذا لا نتعاونُ للحِفاظِ عليها؟

فقالَ (أحمدُ): إنَّ القَضِيَّةَ خَطِيرةٌ جدّاً فلا يَسْتطيعُ شَخْصٌ بمفردِه ، أو جهةٍ مُعَيَّنةٍ وَحدها ، القيام بهذه المهمَّةِ الشَّاقَّةِ ، بل لا بُدَّ أن يحدثَ تعاونٌ بين المَسْجدِ ووسائل التَّربيةِ والإعْلامِ ، ولا بُدَّ من تَعاونِ الأَهْلِ

والمدرسةِ..وكلّ الجهاتِ ، حتَّى نتمكَّنَ مِنَ المُحافظةِ على الأَشْجارِ.

واقترحَ (إحسان) أن يَقُومَ طُلابُ كُلِّ مدرسةٍ بِغَرْسِ الأَشْجارِ في السَّاحاتِ العامَّةِ ، وفي باحاتِ المَدْرسةِ ، ولو كُلّ سَنَةٍ مَرَّة واحِدة ، وأنَّ يُخَصَّصَ نَهارٌ كامِلٌ لذلك ، وليكنْ يومَ عيدِ الشَّجرةِ.

وأيّدَ (أمجدُ) اقْتِراحَ صَدِيقِه (إحسان) وأضافَ إليه أن يَقُومَ أَفْرادُ كُلِّ عائلةٍ بغَرْسِ الأَشْجارِ في حَدِيقةِ مَنْزِلِهم ، وعلى أَرْصِفةِ الطُّرُقاتِ..

ثُمَّ قالَ (أمجد): ولو أنَّ كُلَّ واحدٍ في قَرْيتنا مَثَلاً شاركَ في زراعةِ ولو شَجَرة واحِدة ، واعْتَنَى بها ، فَسَقاها ، ونَظَّف ما حَوْلَها ، بأنْ أزالَ كُلَّ الأَعْشابِ الضَّارَّة ، لرأينا عَدَداً كبيراً من

الأَشْجارِ قد كَبرَ في العامِ القادمِ... أليس ذلك أَجْملَ وأَحْسَنَ لِلْجَمِيعِ؟!

وقال (أَيْهَمُ): وهذه المَسْألةُ غَرْسُ الأَشْجارِ هي واجبٌ وَطَنِيٌّ ، ومَظْهَرٌ حَضَارِيٌّ ، بل وفوقَ ذلك هي قَضِيةٌ شَجَّعتْ عليها الشَّرِيعةُ الإسْلاميةُ ، وقد قالَ الرَّسولُ ﷺ في مَعْرِض التَّشْجِيعِ على التَّشْجِير: «ما من مُسْلم يَغْرِسُ غَرْساً أو يَزْرعُ زَرْعاً فيأكُل منه طَيرٌ أو إنْسانٌ أو بَهِيمةٌ إلا كان لَهُ به صَدَقةٌ».

وفي مَعْرضِ تَحْذيرِ النَّاسِ من الاعْتِداءِ على الأَشْجارِ كقَطْعها أو رَعْيها ، يَقُولُ المُصْطَفى ﷺ: «مَنْ قَطعَ سِدْرةً ـ نَوْعاً من أنواعِ الشَّجَر ـ في فَلاةٍ ، يَسْتَظلُّ بها ابنُ السَّبيلِ والبَهائِمُ عَبَثاً وظَلَماً ، صَوَّبَ اللهُ رأسَهُ في النَّارِ».

فقالتِ الآنسةُ (أحلام): أحسنتَ أيُّها الطَّالبُ

النجِيبُ ، فمِنْ أَجْلِ قَطْعِ شَجَرةٍ يَسْتفيدُ الناسُ منها سَيَدْخُلُ ذلكم المُؤْذي نارَ جهنَّم!

ولذلك كانتْ وَصَايا الخُلَفاءِ والأُمرَاءِ: أن يُحافِظُوا على الثَّروةِ النَّباتيةِ ، كما يُحافِظُونَ على البشر ، وكُلُّنا يَحْفَظُ وصيَّة أبي بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عنه لقائِد الجَيْشِ الإسْلاميِّ أسامة ، وجَاءَ فيها:

(أيُّها النَّاسُ! قِفُوا أُوصِيكُم بعَشْرٍ فاحْفَظُوها عنّي:.. ولا تَقْتُلُوا طِفلاً صَغِيراً ، ولا شَيْخاً كبيراً ، ولا امْرأةً ، ولا تَقْطَعُوا شَجَرةً مُثْمِرةً ، ولا تَذْبَحُوا شاةً ولا بقرةً ولا بَعِيراً إلا لمأكلةٍ).

أجلْ! بهذا حافَظَ الأوائلُ على الثَّروةِ النَّباتيةِ ، وتَسَابَقُوا من أَجْلِ غَرْسِ الأَشْجارِ والعِنايةِ بها ، مُعْتَبِرين أنَّ ذلك العملَ يَجْلِبُ الثَّوابَ والأَجْرَ العَظِيم ، ورضا اللهِ تعالى.

وقالَ (أمجدُ): وعلى وَسائِلِ الإعْلام، وخاصَّةً التِّلفاز (التلفزيون) أن تُقدِّمَ البَرامجَ التي تهتمُّ بمسائلِ الحِفاظِ على البيئةِ، وبيانِ أَهَميَّةِ التَّشْجِيرِ على الفردِ والمُجْتمعِ بأَسْرِه.

وقالتِ الآنسةُ (أحلام): وهناكَ شَيءٌ خَطيرٌ جِدّاً، وهي مسألةُ رشِّ المُبِيداتِ من أَجْلِ القَضَاءِ على الحَشَراتِ والآفاتِ الزِّراعيةِ، والأَهمُّ من ذلك كلِّه هو التَّثْقِيفُ الزِّراعي والتَّوعية، ثم التفتتْ إلى الطُّلابِ وقالتْ: أريدُ أن نَتَعاهدَ جميعاً على بثّ هذه الأَفْكارِ بين الأُسَر، وبين الأَصْدقاءِ، وبين كلِّ الناسِ، عسى أن نَصِلَ إلى بيئةٍ أَفْضَل، وشَوارِع أَنْظَف، وكَميَّة شَجَرٍ أَكْثَر...

فقالَ (أحمدُ): عَهْداً سننقلُ ذلك كلَّه إلى جميعِ مَنْ نعرفُ، ولنشيْع بيننا التَّعاونَ

عسى أن يتحقَّقَ فينا قولُه تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

وآخِرُ دَعْوانا أن الحمدُ لله رَبِّ العالَمِينَ